Kurānī, Hanā
Inhād al-ghairat al-waṭaniya
li-tarkiyat al-badā'i'
al-sharkiya

انهاض الغيرة الوطنية
لترقية البضائع الشرقية

وهو

خطاب القته المحصنة الادبية هنا كوراني

في مدرسة الاحد مسآء الجمعة

الوقع في ١٠ اذار

سنة ١٨٩٣

1893

وزع مجاناً

بنفقة خليل دراج

Beirut

بمطبعة جمعية الفنون في بيروت







❁ انهاض الغيرة الوطنية ❁

❁ لترقية البضائع الشرقية ❁

قدر على الشرق الهبوط بعد الارتقاء والمقدرُ كائن لابرد وقضي على اهلهِ بالضعة بعد الرفعة والعلاء وقضاء الله واقع ليس منهُ مفرّ على ان الزمان لايجور الاّ ويرحم والبلاء لايعمّ الاّ وينجلي بين ظلماتهِ شعاع الفرج والنعم فحمداً لمن بيدهِ مقاليد الارض والسماء اذ ازال عن شرقنا الكربة وجلا عن محياه الصافي آثار الحطة والذلة بعناية واحسانات حضرة صاحب الشوكة والاقتدار سيدنا ومولانا السلطان عبدالحميد خان الجامع للعدل مع الرحمة والحلم مع الرهبة متفردٌ باوصاف الجلال والكمال بعلو على الخلق بشمائل قل فيها ربي زده سموا على كرور الايام وايدهُ بالنصر مدى الاعوام انك الجبار المتعال

لقد كرت بنا الاعوام ونحن راقدون ومرّت بنا الايام ونحن

غافلون فات الاوان الذي فيه نهب من كرى الغفلة ونستفيق من رقاد التهاون فالى متى نسير في الارض كمن اضاع رشده وقد بصره ونحن في زمان لاتغرب شمس يومه ولا يطلع قمر ليلو الا ونشاهد او نسمع من الغرائب والعجائب ما يستوقف الانظار و يذهل الابصار و يشغل الافكار فها ان الجرائد الاجنبية مع جرائدنا الوطنية تصرح بالاهل هذا العصر من الاذهان المتوقدة والذكاء المفرط والغيرة الشديدة على التقدم والارتقاء فان ميدان المناظرة بين الغربيين قد ازدحمت في ارضو الاقدام وكثرت في سباقو الاقوام وقام منادي الجد والعزم ينادي اهل العرف وذوي البصيرة هلم امتطوا صهوات الاقدام وتسلحوا بسهام الهمة والثبات وتجندوا وتحت لواء الانسانية وابرزوا الى ميدان السباق وتجري بين بعضكم حرب في ايكم اشد قوة واعظم بأسا واصلب زندا في رفع شرف بلادكم وتجديد اوطانكم ونفع جنسكم بني واخوانكم فقام الالوف وصرفوا العزيمة والفكرة لابل العمر والحياة في عمل مايعود على بلادهم و بني جنسهم بالعزة ورفعة الشان طوعا لمنادي الوطنية وامتثالا لداعي الجنسية فرقوا الى اسمى مراتب الفخر ووصلوا الى ذرى الامجاد وكان من وراء ذلك انهم امطروا على بلادهم سحائب الخيرات والنعم فازهرت من الازهار اذكاها نشرا وعرفا واثمرت من الثمرات اشهاها منظرا والذها طعما

ايها السادة الكرام . اذا تصفحنا التاريخ وتاملنا جليّاً في سلسلة حلقاتهِ وتبصرنا مليا في عوامل ارتقا البشر وتقدمهم نرى انه طالما كانَ لصوت الضعيف فيهم قوة تجددت بها العزائم وتاثير اضرم في قلوبهم نار الغيرة فاحرقت ماهنالك من التكاسل والتراخي ولاشت ماخفي من الاهواء الباطلة والشعور الردي ثم محصت الجد والنشاط والصبر والثبات واشعلت وقود المحبة الوطنية وقادت الانسان الى اقتحام عظائم الامور وشددته على الثبوت ضد نوازل الارتقاء وإني الان اقفُ لديكم معترفة بضعفي و بنوارة معارفكم وسعة مكارمكم لا متزع لي الى تعليمكم او ارشادكم انما توخيت تذكيركم بامر ذي بال وقد كان للذكري منافع كبرى. وهنا اسأل ارباب الهمة وذوي الوجاهة من اهل بلدتنا الافاضل الذين يذهبون سنة بعد اخرى الى البلاد الاوروبية ويكابدوا مشقات السفر واتعاب الغربة ويبذلون الدرهم النفيس في شراء البضائع المختلفة الاجناس والاشكال ان لايحنقوا عليَّ باختياري موضوعاً للكلام انهاض الغيرة الوطنية لترقية البضائع الشرقية بل ليساعدوهم ايضاً بدورهم في ترويج بضاعتنا الشرقية في الاقطار الغربية فيشد بهم أزر الوطن وتضمد جراحاته القديمة

لايخفى على عارفينا ماكانت عليهِ حالة البلاد من تقدم الحضارة وضخامة العمران وما كان لاهلها من موارد الغنى ومصادر الخيرات

فقد كانت مدنها حافلة بالسكان تزدحم فيها اقدام التجار من جميع الاقطار حتى لقد قيل عن مينا مدينة صور ان الناظر اليه لا يستطيع ان يرى ماء البحر لتراكم المراكب التي كانت تاتيه من جهات المسكونة الاربع مقبلة بالكنوز والنفائس من جوهر كريم ودر يتيم ومرجان ثمين وذهب وضاح وفضة بيضاء وغير ذلك من الاطياب والعطارات ومن ثم تقفل مدبرة حاملة من فنون الفينيقيين وانواع سلعهم وبضائعهم مما يعجز قلم البليغ عن وصف جماله الماثق واتقانها الدقيق وهكذا كانت حالة جميع شطوط سوريا ومدنها الداخلية فالاراضي الموحشة المقفرة كانت فيما سلف جنات تخترقها الانهار وتغرد على اغصانها بلابل الاطيار وهي ترقص طرباً على نغمات نول الحائك ومطرقة الحداد ورنين الآلات الميكانيكية المختلفة الانواع ولو جئت مسهبة عن احوال قدم البلاد لضاق الوقت وفني العمر وانا بعد على شاطىء ذلك المحيط العظيم انما اجتزىء بالكلام بانها كانت تقل من السكان خمسة اضعاف اهليها الان واما عن شبابها وثروتها وعمرانها فحدث ولا حرج

فما بالنا الان والحالةُ التي نحن فيها هل مادت الارض بمن فيها فعكست وقلبت الاحوال . ام قامت حربٌ عوانٌ في عالم الهواء فخربت نظامه وابدلت تركيبه فغيرت منا الامزجة والاخلاق ام العتبُ في ذلك على الزمان وحوادثه والايام ونوازلها . كلا ان

الارض لم تزل على حالها منذ وجد الانسان عليها تحيطُ بها كرة الهواء النقية على نظام ثابت لا يتغير والزمان لا تزال شمس نهاره تخترق كل صباح طبقات الافق بسهام النور فتبددُ دياجيره وتجلو اوهامه وتكشف عن وجه الطبيعة برقع الظلام فيتلألأ مكللاً بقطرات الندى التي تهتز معًا بلمعان بهي مترحبة بقدوم عروس الايام وقمر ليله لا يزال يتجلى بين عقد نجومه ناشرًا على الارض حلة الضياء يحدقها بعينه البيضاء كانه يحرسها من نائبات الحدثان ولكن هو الجهل حتى تظلم الابصار وتعمى القلوب وتغفل الافكار وتيبس جراثيم الهمة والنشاط وتسكن محركات الجد والاقدام وتفنى عوامل النمو والارتقاء فيستولي التكاسل مع التراخي ويستبدُّ الاهمال مع الاغفال فتشقى البلاد مع العباد و بالله من شر هذا المآل

فهذا الذي سطا على جدودنا فقهرهم ودك بنيانهم واستنزف ثروتهم ولاشى صناعتهم واخرب تجارتهم اما الان والحمدُ للمنان فقد اخذت البلاد بظل مولانا السلطان وعناية دولتنا العلية الباذخة الاركان ان تجدد ماضي عزها وتردّ فائت مجدها فعمت بيننا وسائل الدرس والتثقيف واسباب الرفعة والفلاح حتى أملنا بلوغ المنى وتحقيق الآمال ولكننا مع ذلك لا نزال بالنسبة الى من تقدمونا في حاجة كبرى الى الاصلاح ولا صلاح الاّ بالاصلاح

انّنا اذا دققنا البحث في احوالنا الحاضرة وارسلنا الاستبصار الى

خفايا امورنا نرى أنفسنا في حالة تستوجب الشفقة والحنان ذلك لاننا حملنا الذات مالا اطاقة لها على حمله فقد أخذنا نتشبه بالغربيين بالزي والعادات ونحن متأخرين عنهم بالعرف والمال بما لا يقاس ولذا نرى البلاد تئن مثقلة من عناء هذا الحمل الشاق على عاتقها الضعيف . فقد كنا قبل ان امتزجنا معهم عائشين بالراحة مقتنعين بما قسمه المولى لنا فكانت المرأة تغزل بيديها لباس عائلتها وتكسي رجلها واولادها من تعب نهارها وليلها فتوفر على زوجها ثقل المصاريف والاهتمام الزائد في كسوة اولاده بخلاف ما نحن عليه الان فان الرجل يصل الليل بالنهار سعياً وراء تحصيل حاجات عائلته وهو عاجز عن ارضاء خاطر امرأته واولاده وكثيراً ما يحمل نفسه اثقال الدين الباهظة لتلبس زوجته على الزي الاخير وتكسي اولادها كاولاد الغربيين ولذا نسمع الانين متصاعداً متواصلاً من صدور الرجال وهم يرددون الشكوى بقولهم . تبًا لهذه الاحوال و يا لها من عيشة مرة لا تطاق فاننا نركض الليل أكثر من النهار ونحن مع ذلك عاجزين عن القيام بمصاريف العيال وارضاء ربة الازياء. فهنيئاً لمن عاش قبل هذه الايام انه ممن رحمهم الله انه من الصالحين فياليتنا لم نولد او وُلدنا في زمان الغابرين

فهذه هي حقيقة احوالنا المحزنة ودخائلنا المشوشة التي كان بوسعنا اتقاؤها والخلاص منها لو تدبرنا أمرنا واشغلنا القوى في اصلاح

احوالنا الداخلية لا الخارجية . فارضنا والحمد للمنان جيدة التربة رحبة بنا اذا صرفنا الاهتمام الى فلاحتها وزراعتها نغتذي منها ونرسل من غلاتها الى البلدان الاجنبية ما يعود علينا بالذهب الرنان وصنائعنا التي نبذناها ظهريًّا والتي يتوقف عليها تحسين احوالنا المادية لو اعرناها الاهتمام الواجب والاكتراث الاكبر لكفت حاجاتنا من رداء ومتاع وزادت على ذلك فأُرسل منهــا الى الغربيين ما فاض على البلاد بالارباح والخيرات ولكننا عوضًا عن ذلك نبيع الاجانب محصولات البلاد من حرير وصوف وما شاكل بابخس الاثمان ونسترددها منهم بدفع ثقلها ذهبًا فيكون الربح لهم لا لنا فكان جديرًا بنا اتقان صنائع البلاد على انواعها الشتى والاستغناء عن السلع الاوروبية لتزيد موارد الثروة ومناهل الغنى ويتوفر علينا المصاريف الباحثة التي قد قادت الكثير بن الى المهـاجرة او الخراب التام . وبالحقيقة أَنهُ يوجد في بلادنا من الانسجة الحريرية والصوفية والقطنية ما يليق بقصور الملوك فاني قد بحثت فيها ورأيت في اعظمها من دقة الصنعة مع حسن الذوق والمتانة ما كنت اجهله والجهل ذنب سوادنا الاعظم

و يا حبذا لو تعاون وجهاء البلاد واتفقوا على نبذ البضـائع الافرنجية وصرف الاهتمام الى الصنائع والمنسوجات الوطنية على انواعهــا لعاشت البلاد بعد موتها وزادت مداخيلها عن الان

بالايقاس وذلك لرواج البضائع الشرقية في اوروبا واميركا وغيرها من البلدان

حقّاً انه لايحسنُ بنا ارتداء الحرائر الاوروبية الغالية والسريعة الفناء وفي بلادنا من الحرائر مايتية عليها حسناً وجمالاً فالاروبيون عرفوا قيمتها ونحن جاهلوهـا وصار امراؤهم يتباهون بفرش قصورهم الرفيعة بالاقمشة الشرقية والارتداء بالنسيج العربي وتزيينه بحركة الشرقية . فاذا كنا نعتقد فيهم بانهم ارفع ادراكاً وارقى عرفاً ونحنُ نقلدهم في الازياء والعادات فلماذا لانقلدهم ايضاً بهـذا الامر ونرفع شان انفسنا ووطننا معاً

اننا نتباهى بارتقائنا عن السلف وباحرازنا الادب وتيه عجباً بما وصلت اليه حالتنا من المدنية والتقدم ولكن ليت شعري اين الارتقاء والتقدم وحالتنا كما تعلمون . باللاسف ان حظنـا منها لا الحقيقة فان تقدمنا النسبي نزعة ليس الاّ طيف خيال وعرفنا الاسمُ الذي نتوهمه لايزيد عن قيل وقال فاننا ياسادة عبيدٌ ارقاء . ولا ندري انـا مستعبدين للزي الاوروبي اوللاوروبي ان تقدم لهتعب ايدينا وجنى ايامنا ومحصولات بلادنا فياخذها عفواً محتقراً لنا مزدرياً بنا جاحداً لخدمتنا ناكراً لمعروفنا وما جزاء الغفلة الا الهوان . فهل يليق بنا نحن الذين لنا الحظ الاكبر من الذكـاء والدراية ان نرضخ بمثـل هذه الاحوال وننظر الى بعض البهرجات

موجهين على النفس بالفلاح و بلوغ العلاء

فيا ايها السادة الكرام يامن انعم الله عليهم بالثروة والجاه اني استعطفكم بلسان الوطنية ان تحولوا ابصاركم البصيرة الى الصنائع السوريـــة وتتخذوا ما حسن منهـــا للرياش والمتاع ليتجمل بكم العموم و يهتدوا بنور مثـــاركم ليطرسوا على غرر اثاركم و بذلك تخدمون الانسانية والوطن الذي هو في اشد الاحتيـــاج الى مآثركم الجليلة . فحسن مستقبل البلاد متوقف على رواج صناعتنا و بضائعنا و هذا منوط بعلو همتكم وتوقد غيرتكم ومحبتكم الوطنية فابسطوا رعاكم الله يد النجدة والاسعاف وخذوا بناصر المحـــترفين جميعًا و بثوا في افئدتهم الهمة والنشاط للمثابرة على العمل والاجتهاد في اتقان الحرف واجادتها . فالصنائع انما تستجاد وتكثر اذا كثر طالبها والسبب في ذلك ظاهر لان الانسان لايسمح بعمله ان يقع مجانًا لانه كسبة ومنه معاشة اذ لافائدة له في جميع عمره في شيء ما سواه فـــلا يصرفه الا فيما له قيمة في مصره ليعود عليه بالربح والكسب والصناعة اذا لم تكن مطلوبة لاتنفق سوقها ولا يجتهد محترفها في اتقانها والتفنن بها بل يهجرها فتموت وتتلاشى شأن كل شيء . ومن هذا تعلمون عظم مايترتب على نجدتكم من الخير الاكبر للبلاد فاصرفوا العزيمة في ترقية صنـــائع البلاد فيرفع لكم الشرق تمثال الشرف مكللا بتاج الفضيلة وكفى بذلك فخرًا لمن عقل

ايتها السيدات الكريمات . ان ما أعهده بشخصكن اللطيف من رقة الجانب ودماثة الخلق يجرأني على مخاطبتكن الان في هذا المشهد الحافل بارباب العرف وسيدات الذكاء وما اعلمه من حسن مبادئكن وتثقيف ذهنكن واستعدادكن التام لخدمة الخير العام يحملني على ان اتقدم اليكن ببعض الملاحظات ملتمسة من مكارمكن الواسعة قبول ما اسا بسطه لديكن ولا عدمتكن من نصيرات محسنات

لقد اتفق العلماء الاعلام على ان تقدم البشر متوقف على النساء اكثر منه على الرجال وذلك لاسباب شتى اعظمها كونها مهذبة الاطفال ومربية الرجال من ملك عظيم الى فاعل مسكين وهذا مما يجعل تأثيرها العامل الاكبر في اجتناء الخيرات وتحصيل الرغائب وعليه جئت اذكركن ايتها الفاضلات بنظم ما يترتب على كل واحدة منكن من الواجب الخطير نحو الوطن . فاحوالنا الحالية تستدعيكن لصرف المقدرة وبذل الجد والجهد في مداواة الاعتلال واصلاح الاختلال . لايخفى عليكن ايتها الاديبات ان مدام بالمر رئيسة القسم النسائي في معرض شيكاغو العام قد حررت الي انا العاجزة مع بعض الفاضلات بتحريك الخواطر وحث الهمم لتأليف لجنة من نساء البلاد لجمع اشغال المرأة السورية على انواعها واجناسها فكتبت مع سواي مستعطفة بنات الوطن الى الاهتمام بهذا الامر الخطير مبينة ما يترتب عليه من الخير العام والفائدة

الكبرى ولكن كنت في ذلك كمن يضرب في حديد بارد و باللاسف ثم شرفتني حضرة الرئيسة المذكورة بانهادعتني للخطابة في مدة المعرض عن حالة نساء بلادنا السورية وماهنّ عليهِ من العلم والادب فلم أرَ بدًّا من تلبية هذا النداء الشريف والامتثال لامرها الكريم لئلا يقال في المراة السورية انها لاتصلح لشيء . فعزمت بعد الاتكال على المتعال ان اذهب الى تلك الاقطار واضطررت اذرا يت الجميع لاهيات ان اجمع من اشغال المرأة السورية ومن صنوف بضائعنا الشرقية ماتيسر للعرض في بناية النساء لعلي استطيع ان اجمل للمرأة السورية اسما يذكر وأُعلن من آثارها اثرًا يشكر وقد وفقني المولى الى استحضار صنوف متضاربة من الاشغال التي هي بالحقيقة على جانب كبير من الاتقان والظرافة ورأيت بين اقمشتنا الشرقية ما يليق بلباس الاميرات وحلل المخدرات مع ماهو عليهِ من بخس الثمن ومتانة الجنس

فكيف يسعني السكوت والحالة هذه عن اعراضنا نحن النساء عن بضائعنا وبهافتنا الى السلع الاوروبية وشرائها كيف كانت باغلى الاثمان زعماً بان هذا ما يزيدنا تمدنًا و يكسبنا جمالاً ونحن في ذلك ليسوا سوى خدمة لملكة الزي المنقلبة الرأْي المتغيرة الذوق القاهرة الصولة الظالمة القضاء والتي تطلب من رعيتها تقديم اجسادهنّ وادابهنّ واموالهنّ على رغائبها التي لاتحصى فيالله من هذا الاستبداد

العظيم والاستعباد المطلق فكم اشقى من حسناء وادمى من نجلاء واهلك من هيفاء واخرب من اداب ولاشى من مكرمات

فلنتعد ايتها الفاضلات ولنشهر حرباً عواناً ضد هذه البلية الصماء انفهر صولتها قبل ان تثبت اقدامها في البلاد ولنصرف اموالنا في نفع اوطاننا واحياء دارس صنائعنا وموات بضائعنا ولنرتدي جميعنا بانسجة بلادنا التي هي بالحقيقة لاتقل جمالاً وذوقاً عن التي تتهافت اليها من البلدان الاجنبية متيقنات أن قيمة المرأة لاتقدر بنفاسة حللها وحليها بل بغزارة فضائلها وسمو ادابها وغرر مآثرها فعلينا باتخاذ التعاون ظهيراً والاتحاد معيناً والهمة ساعداً في انجاد الوطن وتبديد عوامل التقهقر ومسببات الانحطاط لتكون شعار ارتقائه وعنوان مجده

ولا بد لي في الختام ايها الافاضل والفاضلات من اظهار مالي في شهامتكم العربية وغيرتكم الوطنية من الآمال التي تعلو بكم الى اوج المعالي وترفعكم الى السهى فانكم قد برهنتم في هذه السنين المتأخرة ان لكم بعد في نفوسكم بقية من عزم اجدادكم ونشاط ابائكم ودراية اسلافكم فسلكتم البحار وجبتم القفار للاتجار واكتساب الاموال وازدياد الثروة ركن التقدم وعنوان الفلاح جادين في سبل العلياء في الطلب وعليه لااري حاجزاً يحول دونكم ودون ترقيتكم للبضائع الشرقية والصنائع السورية التي باجادتها والاكثار منها تتم

معدات التقدم وتهيأ اسباب الحضارة والعمران فرجائي ببصيرتكم النيرة انزال هذا الخلل الاكبر منزل الاعتبار لتستعز بكم البلاد وتسعد بمساعيكم الجليلة العباد

وهنا ارفع لسمو مكارم حضرة استاذي الفاضل ازهار الحمد محمولة على طبق الثناء متأرجة بنشر مآثره الغراء ومحاسنه البيضاء فريضة شكرٍ وواجب منــة على ما طوق به جيدي من حلى الفخر وقلادة الشرف باجادته عليّ بقبول ملتمسي لتزين هذه الليلة الزهراء بدرر اقواله وحكم ارائه فالله اسأل ان يحفظه للوطن عمادا وللعلم ملاذا واليه عز اسمه اتوسل ان يوفقنا جميعنا الى ما به تقدم الوطن ونجاحه بظل ظليل الحضرة السلطانية وعناية اولياء الامور الصادقين وله ملك السموات والارض انه فعال لما يريد
